

تفسير البحر المحيط

@ 260 @ المفعول له موجودة فيه من كونه مصدرًا متحد الفاعل والزمان . .

{ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ° } ظاهره أن ثمَّ قولاً □ ، فقيل : قال لهم ذلك على لسان الرسول الذي أذن له في أن يقول لهم ذلك عن □ ، وقيل : على لسان الملك . وحكي : أن ملكين صاحبا بهم : موتوا ، فماتوا . وقيل : سمعت الملائكة ذلك فتوفتهم ، وقيل : لا قول هناك ، وهو كناية عن قابليتهم الموت في ساعة واحدةٍ وموتهم كموتة رجل واحد ، والمعنى : فأماتهم ، لكن أخرج ذلك مخرج الشخص المأمور بشيء ، المسرع الامتثال من غير توقف ، ولا امتناع ، كقوله تعالى : { كُنْ فَيَكُونُ } . .

وفي الكلام حذف ، التقدير : فماتوا ، وظاهر هذا الموت مفارقة الأرواح الأجساد ، فقيل : ماتوا ثمانية أيام ثم أحياهم بعد ، بدعاء حزقيل ؛ وقيل : سبعة أيام ، وقد تقدّم في بعض القصص أنه عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم ، وهذا لا يكون في العادة في ثمانية أيام ، وهذا الموت ليس بموت الآجال ، بل جعله □ في هؤلاء كمرض وحادث مما يحدث على البشر ، كحال { السَّذَى مَرَجَ * عَلَى قَرِيَّةٍ } المذكورة بعد هذا . .
{ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ° } العطف بثم يدل على تراخي الأحياء عن الإمامة ، قال قتادة : أحياهم ليستوفوا آجالهم . .

وظاهره أن □ هو الذي أحياهم بغير واسطة ، وقال مقاتل : كانوا قوم حزقيل ، فخرج فوجدهم موتى ، فأوحى □ إليه : إني جعلت حياتهم إليك ، فقال لهم : احيوا . وقال ابن عباس : النبي شمعون ، وريح الموتى توجد في أولادهم . وقيل : النبي يوشع بن نون ، وقال وهب : اسمه شمويل وهو ذو الكفل ، وقال مجاهد : لما أحيوا رجعوا إلى قومهم يعرقون ، لكن سحنة الموت على وجوههم ولا يلبس أحد منهم ثوباً إلاَّ عاد كفناً دسماً ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم ، وقيل : معنى إماتتهم تذليلهم تذليلاً يجري مجرى الموت ، فلم تغن عنهم كثرتهم وتظاهرهم من □ شيئاً ، ثم أعانهم وخلصهم ليعرفوا قدرة □ في أنه يذل من يشاء ، ويعز من يشاء ، وقيل : عنى بالموت : الجهل ، وبالحياء : العلم ، كما يحيى الجسد بالروح . .

وأنت هذه القصة بين يدي الأمر بالقتال تشجيعاً للمؤمنين ، وحثاً على الجهاد والتعريض للشهادة ، وإعلاماً أن لا مفر مما قضى □ تعالى : { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا } واحتجاجاً على اليهود ، والنصارى بإنبائه صلى □ عليه وسلم (بما لا يدفعون صحته ، مع كونه أمّياً لم يقرأ كتاباً ، ولم يدارس أحداً ، وعلى مشركي

العرب إذ من قرأ الكتب يصدقه في إخباره بما جاء به مما هو في كتبهم . .
{ إِنَّ اللَّاهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَي النَّاسِ } أكد هذه الجملة : بأن ، واللام ، وأتى
الخبر : لذو ، الدالة على الشرف ، بخلاف صاحب ، و : الناس ، هنا عام ، لأن كل أحد □ عليه
فضل أي فضل ، وخصوصاً هنا ، حيث نبههم على ما به يستبصرون ويعتبرون على النشأة الآخرة
، وأنها ممكنة عقلاً ، كائنة بإخباره تعالى : إذ أعاد إلى الأجسام البالية المشاهدة
بالعين الأرواح المفارقة ، وأبقاها فيها الأزمان الطويلة إلى أن قبضها ثانية ، وأي فضل
أجل من هذا الفضل ، إذ تتضمن جميع كليات العقائد المنجية وجزئياتها : ويجوز أن يراد :
بالناس ، وهنا الخصوص ، وهم هؤلاء الذين تفضل عليهم بالنعم ، وأمرهم بالجهاد ففروا منه
خوفاً من الموت ، فأماتهم ، ثم تفضل عليهم بالإحياء وطوّل لهم في الحياة ليستيقنوا أن
لا مفر من القدر ، ويستدركوا ما فاتهم من الطاعات ، وقص □ علينا ذلك تنبيهاً على أن لا
نسلك مسلكهم بل نمثل ما يأمر به تعالى . .

{ وَلا كِنٌّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ } تقدّم فضل □ على جميع الناس بالإيجاد
والرزق ، وغير ذلك ، فكان المناسب لهم أنهم يشكرون □ على ذلك ، وهذا الاستدراك : ولكن
، مما تضمنه قوله : { إِنَّ اللَّاهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَي النَّاسِ } والتقدير : فيجب
عليهم أن يشكروا □ على فضله ، فاستدرك بأن أكثرهم لا يشكرون ، ودل على أن الشاكر قليل
، كقوله : { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ } ويخص : الناس ، الثاني بالمكلفين .

{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّاهِ } هذا خطاب لهذه الأمة بالجهاد في سبيل □ ،
وتقدّمت تلك القصة ، كما قلنا ، تنبيهاً لهذه الأمة أن لا تفر من الموت كفرار أولئك ،
وتشجيعاً لها ، وتثبيتاً . وروي عن ابن عباس ، والضحاك : أنه أمر لمن أحياهم □ بعد
موتهم بالجهاد ، أي : وقال لهم قاتلوا في سبيل □ . وقال الطبري : لا وجه لهذا القول .
انتهى . .

والذي يظهر القول الأول ، وأن هذه الآية ملتحمة بقوله : { حَافِظُوا عَلَي
الصَّلَواتِ } وبقوله